بسم الله الرحمن الرحيم

العقيدة

(٢)

توحيد الألوهية-أدلته. وبيان أهمته-بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم- وجوب إفراد الله بالعبادة وتحته مطالب-معنى العبادة والأصول التي تبنى عليها.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد، ذكرنا في المرة السابقة، معنى التوحيد وأنواع التوحيد وأخذنا الفصل الأول ألا وهو توحيد الربوبية.

سريعًا سأذكر أسئلة على ما ذكرته في المرة السابقة، أذكر سبعة أسئلة وإن شاء الله كل مرة سنذكر الأسئلة الخاصة بالمحاضرة ونجمع هذه الأسئلة ولا يخرج عنها الامتحان بإذن الله تعالى.

أسئلة الباب هذه خاصة تحتاج مراجعة المحاضرة السابقة لمن لم يحضر، وإن شاء الله سأذكر الأسئلة وإجابتها.

السؤال الأول: ما معنى العقيدة لغة واصطلاحا؟

السؤال الثاني: أذكر خصائص العقيدة؟

طبعا خصائص العقيدة نحن قلناها في أشياء من سمات العقيدة هي أولًا: أن العقيدة في مقابل الشريعة في الإسلام: الإسلام ينقسم إلى شطرين: عقيدة وشريعة.

الأمر الثاني من سماتها: أنها أمور علمية وليست عملية على المسلم أن يعتقدها في قلبه.

الأمر الثالث: أنها يقين لا تقبل الشك.

الأمر الرابع: أنها أمور غيبية ليست مشاهدة ومنظورة.

السؤال الثالث: ما علاقة العقيدة بالإيمان؟

السؤال الرابع: ما المقصود بمصطلح أهل السنة والجماعة؟

السؤال الخامس: عرف الإيمان لغة وشرعا؟

السؤال السادس: عرف التوحيد لغة وشرعا؟

السؤال السابع: عرف توحيد الربوبية وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة؟

السؤال الثامن: هل ينجي الإقرار بالربوبية من العذاب، وما مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية؟

الدرس الجديد

توحيد الألوهية

(الألوهية مشتقة من اسم الإله) يبقى الصفة الألوهية مثل الربوبية مشتقة من اسم الرب، يبقى الصفة الربوبية.

الإله في لغة العرب على ثلاثة معاني:

الأول: المعبود المطاع.

الثاني: الذي تميل إليه القلوب اشتياقا وتعظيما.

الثالث: التي تحاروا فيه العقول.

طبعا لو نظرنا المشتقات ألَه وألِه وولَه، الثلاثة مشتقات ستجد منها هذه الثلاث معاني.

يقول: (فالإله اسم من أسماء الله الحسنى، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة، فهو سبحانه المألوه المعبود الذي يجب أن تألهه القلوب وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه سبحانه الرب العظيم، الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له، فحيث كان متفردا بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب أن ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد) إذا كما أنت أفردت الله في الربوبية أي بأفعاله أفردته بالخلق فقلت لا خالق إلا الله وأفردته بالرزق والتدبير والإعطاء والمنع والإحياء والإماتة إلى غير ذلك فكما أفردته بذلك فهو المستحق الذي تجب العبادة له فكما أفردته بأفعاله فيجب أن تفرده بأفعالك وهذا مقتضى قول الله: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١] اعبدوا ربكم أي كما أفردتم الرب بأفعاله فأفردوه بالعبادة. ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ما أهمية هذا التوحيد؟ هو ذكر الأهمية لكن في الدلالات، سوف أجعلها في عنصر منفصل.

أهمية توحيد الألوهية؟

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك.

أولا: خلق الله عز وجل الخلق لأجله قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. **ثانيا**: أرسل الرسل من أجل ذلك وأنزل الكتب من أجل ذلك فقال في إرسال الرسل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. **ثالثا**: وأنزل الكتب من أجل ذلك قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ

لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

رابعا: أن جميع الأعمال لا تقبل إلا به، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] أهمية عظيمة مهما تعمل من عمل وأنت لم تحقق هذا التوحيد الذي هو توحيد العبادة لن يقبل منك، لذلك الله ﷻ يقول للكفار الذين لم يحققوا هذا الأمر قال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾ [الفرقان: ٢٣]، ولما قالت عائشة هل ينفع عبد الله بن جدعان ما كان يعمل فكان يطعم وكان يفعل ويفعل؟ قال النبي ﷺ: «إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» فكل الأعمال إن لم تكن مصحوبة بتوحيد الألوهية فهي محبطة.

خامسا: أن ثوابه عظيم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]،إذا أتيت يوم القيامة ومعك هذا التوحيد فلك الأمن والاهتداء على قدر ما أكملت من حقوق التوحيد،فالذي سيأتي بهذا التوحيد له مطلق الأمن والاهتداء،سيأتي له خوف؟ نعم ولكن على قدر ما اكتسب من الجنايات، ولذلك الكفار والمشركين حينما جاء في بعض الأشياء التي أخذها بعض الخوارج على ابن عباس يقول: إن في الكتاب اختلاف، يقول لما جاء إليه كما ذكر الخطيب البغدادي في كتاب الفقيه المتفقه قال: أنه جاء رجل فقال: (فإني أجد في الكتاب أشياء تختلف علي)،قال: (أتكذيب هو؟ قال: لا بل اختلاف)، فذكر من هذه الأشياء قال: يقول الله: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ويقول الله: ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ [النساء: ٤٢] فهنا كتموا الشرك؟

فيجيب ابن عباس فيقول: أما قولك: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقال الله ﷻ ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ فإن الله ﷻ يوم القيامة يغفر لأهل التوحيد على ما

كان منهم من ذنوب ولا يغفر شركه.

فيقول المشركين بعضهم لبعض يقولون: تعالوا نقول إنا كنا أصحاب ذنوب ولم نكن مشركين.

يقول الله أما إن كتموا الشرك: ﴿نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] فحين ذلك: ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ [النساء: ٤٢].

ففضل التوحيد عظيم مهما كان منك من ذنوب ولم تكن مشركًا فيتحقق فيك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] هذه الآية آية رجاء وآية تهديد، آية رجاء لمن حقق التوحيد وكان عنده من الذنوب ماكان، وآية تهديد لمن أتى بشرك ذنب وفعل من الطاعات ما فعل؛ لأن الذنب الواحد إن كان شركا يحبط كل أعماله ولو كانت مثل زبد البحر، فمن أهمية هذا التوحيد، فأنت لو جعلت جل عمرك في أن تحقق التوحيد كفاك ذلك.

ولذلك لا عجب أن تجد النبي ﷺ يمكث في مكة ثلاثة عشر سنة يقول: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» فلما كون دولة في المدينة كانت دولة قوية.

تعالى وانظر إلى الدول التي قامت في أفغانستان وفي العراق وفي الصومال والسودان وغيرها، لما كان بنيانها هش وتربيتها ضحلة ماذا حدث؟ سرعان ما إن قامت وانقضت، قامت فوجدنا التيارات، هذا تكفيري وهذا جهادي وهذا كذا وهذا كذا، كل له فكر وعقيدته فكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، فيجب علينا أن نحقق ذلك، أما الأمور التي بعد ذلك فأمرها سهل، يسعنا ما كان يسع التابعين والسلف من قبلنا، اختلفوا نعم في مسائل كثيرة نعم اختلفوا لكن لم يختلفوا في العقيدة.

سادسا: أيضًا من أهميته التحذير من ضده،وذكر ما أعد سبحانه وتعالى من عذاب أليم لمن تركه، وبيان خطورة مناقضته قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] .

لتوحيد الألوهية له أسماء عدة .

- توحيد الألوهية.
- توحيد العبادة، إفراد العبادة لله.
- توحيد الإرادة، تجعل إرادتك لله ﷻ.
- توحيد القصد، إخلاص القصد لله.
- توحيد الطلب، تبتغي وجه الله.
- التوحيد الفعلي، أفعالك، أفعال العباد تفردها لله ﷻ.
- توحيد العمل. هذه كلها أسماء مترادفة لاسم توحيد الألوهية.

توحيد الألوهية هو محور الخصومة بين الرسل وبين أقوامهم.

معنى توحيد الألوهية له معاني متقاربة وأكثرهم ذكر ثلاث معاني:

المعنى الأول: إفراد الله بالعبادة.

المعنى الثاني: إفراد الله بأفعال العباد.

المعنى الثالث: وهو هذا المعنى الذي ذكره الشيخ عبد الرحمن بن سعد يقول: (فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبدُ علمَ اليقين أن

الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقا أفرد الله بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبرِّ الوالدين وصلة الأرحام، ويقوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضا من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه).

الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية، الأدلة من الكتاب والسنة.

أولا: الكتاب:.النوع الأول: أن يأمر به قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا﴾ [البقرة: ٢١] ﴿ اعْبُدُوا﴾ فعل أمر.

وقوله تعالى:، ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقضى أي أمر ووصى، .

النوع الثاني: بينان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، طبعا لكن الآية الواضحة الصريحة في هذا العنصر، الذي هو الأساس من وجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين هي الآية التي قلتها الأول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ ولعل يكون فيه سقط في الكلام.

النوع الثالث: بيان أنه المقصود من بعثة الرسل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ممكن تضع الآية التي قبلها: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

النوع الرابع: بيان أنه الأساس من إنزال الكتب، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ..

النوع الخامس: بيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

طبعا الصحابة قالوا وأينا لا يظلم نفسه يا رسول الله؟ قال: «ليس الأمر كما تزعمون أو كما تقولون ألم تسمعوا إلى قول الرجل الصالح: ﴿يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]».

الأمر السادس: التحذير من ضده وبيان خطورة مناقضته وذكر ما أعد سبحانه من عقاب الأليم لمن تركه قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقالوا تعالى: ﴿لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً﴾ [الإسراء: ٢٢]، إلى غير ذلك من الأدلة هذا في الكتاب

في الكتاب ذكر ستة هم: الأمر، أساس من الخلق، بعثة الرسل، إنزال الكتب، ثواب من اعتنقه، والوعيد على من تركه.

ثانيا: الأدلة على وجوب توحيد الألوهية من السنة.

الأول: أنه حق الله.، ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل ﷺ قال، قال النبي ﷺ: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا» وهذا حق الله «أتدري ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم: قال: ألا يعذبهم».

هل للعباد حق على الله من قوله: أتدري ما حقهم عليه أي على الله، وفي رواية:

أتدري ما حق العباد على الله؟ هل للعباد حق على الله؟ ليس لهم حق على الله إنما هذا الحق حق كتبه الله على نفسه تمننا وتفضلا على العباد ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ما الذي جعل هذا الحق عليه؟ الله -سبحانه وتعالى- يبقى هذا الحق هو حق تفضل وتمنن كتبه الله على نفسه ولم يكتبه أحد عليه.

- الثاني: أول ما يبدأ به في الدعوة . أول ما تدعوا تبدأ به، وحديث أيضًا ابن عباس لما بعث النبي ص معاذا نحو اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله فإن عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات ...إلى آخر الحديث» .

الثالث أنه آخر ما يموت عليه الإنسان. فعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعوا من دون الله ندا دخل النار» وفي الحديث «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» يبقى واجب، لأنه من مات على غير ذلك فكان آخر كلامه شركا بالله ﷻ مات وهو يدعوا من دون الله ندا دخل النار.

-٤-أنه آخر اللقاء: حديث جابر الأخير رابع الذي هو «فمن كان لقاءه لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن كان لقاءه يشرك باله شيئًا دخل النار» ففي حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار» شيئًا معناه وإن قل.

والأحاديث في ذلك كثيرة.

يبقى ذكرنا الأدلة التي توجب توحيد الألوهية على متن الكتاب والسنة. وذكرنا

الأهمية في المطلب الثاني أنه أساس دعوة الرسل.

المطلب الثاني

بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل

لو نظرنا إلى الكتاب أهمية توحيد الألوهية فذكر أنه أعظم الأصول على الإطلاق، أصول الإيمان كم؟ ستة:

ماهي أصول الإيمان؟

أولها: الإيمان بالله فهو أعظم الأصول.

ثانيها: أنها أساس دعوة الرسل.

ثالثا: أنه العلة من خلق الخلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾.

رابعا: أنه سبيل الجنة والنجاة من النار.

خامسا: أنه محور الخصومة بين الرسل وبين أممهم.

المطلب الثالث

بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

(توحيد العبادة هو مفتتح دعوات الرسل جميعا، فما من رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعوا قومه إليه توحيد الله، لذلك كانت الخصومة بين الرسل وبين أقوامهم في هذا النوع من التوحيد، فالأنبياء يدعونه إلى توحيد الله وإخلاص العبادة لله، وهم يصرون على الشرك وعلى عبادة الأوثان، إلا من هداه الله منهم).

قال الله تعالى عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَداً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾ [نوح: ٢٣، ٢٤] وقال تعالى عن قوم هود: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لتأفكنا عن آلهتنا، فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن

كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]، وقالوا أيضًا: ﴿قَالُوا يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٥٣] وقال أيضًا في قوم صالح ثمود: ﴿قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُواً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]، وفي قوم شعيب أصحاب الأيكة المؤتفكات: ﴿قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، وقالوا في كفار قريش: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

(إذن هذه النصوص كلها تدل أن المعترك والخصومة التي كانت بين الأنبياء وبين أقوامهم كان توحيد العبادة والدعوة إلى إخلاص الدين لله ﷻ.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله».

وثبت في الصحيح أيضا عن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله»).

هذا مقدمة عن توحيد الألوهية ومعناه وعن وجوبه وأهميته.

المبحث الثاني

وجوب إفراد الله بالعبادة وتحته مطالب.

المطلب الأول

معنى العبادة، والأصول التي تبنى عليها.

قلنا توحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة، ما هي العبادة؟

بعض الناس يجعل العبادة في معنى معين: الصلاة والصوم وهكذا، ويبقى هذا هو عبد الله، تعالوا لنرى معنى العبادة لغة واصطلاحا.

(العبادة في اللغة: الذل والخضوع، يقال: بعير معبد، أي: مذلل، وطريق معبد: إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

والعبادة شرعا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) هذا تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية، .

وفيه معنى صغير: هو امتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل، وهذا معنى شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا.

يبقى إذن العبادة معناها شامل جامع، لم يخص عبودية معينة دون أخرى، لكن هو قال كل ما يحبه الله ويرضاه أي شيء يحبه الله ﷻ ويرضاه سواء كان باطنا أو ظاهرا قولًا أو عملا فيسمى عبادة، يبقى معنى ذلك، إن العبادة ممكن تكون شيء باطني اعتقاد، ممكن يكون عمل قلبي نعم، ممكن يكون قول باللسان نعم، ممكن يكون عمل بالجوارح نعم، يبقى العبادة تشمل كل ذلك فهو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

(وهي تبنى على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب للمعبود سبحانه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

الثاني: كمال الرجاء، قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

الثالث: كمال الخوف من الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

والله ﷻ جمع بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتاب في قوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢- ٤].

فالحمد لله رب العالمين آية تدل على المحبة.

الرحمن الرحيم تدل على أن الله منعم، والمنعم يُحبُّ على قدر إنعامه.

والآية الثانية فيها الرجاء وهي الرحمن الرحيم).

الحمد لله رب العالمين الحمد لله رب، رب يختص بأفعاله، النعم والآلاء ولذلك، وأنت تحب من أسدى لك شيئًا على قدر إنعامه، لكن إذا كان الله ﷻ قد أنعم عليك شيئًا يجب له كمال الحب كما له كمال النعم والتربية، فأفعاله كلها كمال، فيجب أن يكون له كمال الحب.

الرحمن الرحيم هذه آية يتصف الله بالرحمة فهذه الآية تدل على الرجاء.

والآية الثالثة مالك يوم الدين يعني الجزاء والحساب، فالإنسان لابد أن يخاف.

وأيضا ذكرت في آية واحدة في سورة الإسراء، قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ [الإسراء: ٥٧].

الوسيلة: وهي القربة والمحبة، ويرجون رحمته وهي الرجاء، ويخافون عذابه: الخوف، لذلك مثل السلف الصالح العبادة بطائر رأسه المحبة وجناحاه الخوف والرجاء.

فقال السلف:

فمن كان يعبد الله بالحب وحده فهو زنديق.

ومن كان يعبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ.

ومن كان يعبد الله بالخوف وحده فهو حروري.

ومن كان يعبد الله بالحب والرجاء والخوف فهو الموحد.

لذلك عجب أن هؤلاء الذين يزعموا أنهم يحبون الله ولا يرجون رحمته ولا يخافون عذابه، يقول: إن الجنة لا تهمني ولا النار يهمني، تمام أنا أحبك فقط، أنا أعبدك لأني أحبك ليس حكاية جنة ولا نار، لا رجاء في جنتك ولا خوفا من نارك ولكن الحب فقط كما يزعم بعض الصوفية وغيرهم، هذه زندقة، الله ﷻ يصف أنبيائه وصفوة خلقه: ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ولما قال معاذ للنبي ﷺ: «إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، ولكني أقول اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، قال: حولها ندندن».

يبقى إذن الأركان الثلاثة: كمال الحب، كمال الخوف، كمال الرجاء.

والدليل عندنا دليلين في الفاتحة وفي سورة الإسراء.

ولذلك قال في الفاتحة بعد أن ذكر تلك الأركان الثلاثة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال: إياك نعبد، أي بعد هذه الأركان تكون العبادة، إياك نعبد أعبدك يا رب بهذه الثلاث محبة ورجاء وخوفا.

شروط العبادة، البعض يذكر شرطين والبعض يذكر ثلاث، ففي كثير منكم يذكر ثلاث والتي هي: الإخلاص، والصدق، والمتابعة.

وهنا يذكر شرطين: الإخلاص والمتابعة، لكن هو معنى العزيمة على العمل، لكي يظهر فلو صدقوا الله لكان، قال لهم: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين.

١:-(الإخلاص فيها للمعبود ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخالص لوجهه سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].

٢:-أما المتابعة فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥].

وقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (أي مردود عليه).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالصا لله صوابا على سنة رسول الله ﷺ قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [هود: ٧]، قال: أي أخلصه وأصوبه، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة.

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠]).

اقسم الآية نصفين: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ يتكلم عن محمد رسول الله.

﴿ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ هذه شهادة توحيد لا إله إلا الله.

يبقى فيه حق شيء لله وشيء للرسول ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ لا يشرك بعبادة ربه أحدًا هذا حق الله وهو الإخلاص لله، ويعمل عملا صالحًا يبقى أن يكون موافقا لسنة النبي ﷺ.

يبقى هنا الآية ذكرت الشهادة ومقتضى العمل بها، فالشهادتين: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ شهادة محمد رسول الله، ﴿ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ لا إله إلا الله ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ فمن يريد أن يقابل الله ﷻ يكون عمله صالح على هدي النبي ﷺ ولا يكون مشركًا بالله تبارك وتعالى.

هذا بالنسبة لشروط العبادة، ذكر بعض أنواع العبادة يعني نجعلها المرة القادمة.

لكن مع بعض سأذكر لكم بعض تطور العقيدة عبر الزمان.

تطور العقيدة عبر الزمان.

اعلم أنه ليس هناك كتاب على وجه الأرض يوضح تاريخ العقيدة بصدق إلا كتاب الله -سبحانه وتعالى- ففيه علم غزير في هذا الموضوع .

وعلم البشر لا يمكن أن يدرك هذا الجانب إدراكا وافيا لأسباب:

الأول: أن ما نعرفه عن التاريخ قبل خمسة آلاف عام قليل، قليل جدًا، أما ما نعرفه قبل عشرة آلاف عام فيعتبر أقل من القليل وما قبل ذلك وما قبل ذلك فيعتبر مجاهيل لا ندري عنه شيء، لا تعرف عن التاريخ قبل عشرة آلاف سنة شيء نهائيا، يبقى كثير من الحقائق ضاع بضياع التاريخ الإنساني.

ثانيا: أن الحقائق التي ورثها الإنسان اختلطت بباطل كثير جدًا، بل ضاعت في أمواج متلاطمة في محيطات واسعة بين الزيف والدجل والتحريف مما يدل على ذلك أن كتاب التاريخ حقيقي لشخصية أو جماعة ما في العصر الحديث تعتبر من أشق الأمور فكيف بتاريخ يمتد إلى فجر البشرية، بداية خلق البشرية.

ثالثا: إن قسما من التاريخ المتلبس بالعقيدة لم يقع في الأرض بل في السماء جزء منه كان في السماء لذا فإن الذي يستطيع أن يمدنا بالتاريخ الحقيقي لا لبس فيه هو الله

-سبحانه وتعالى- لماذا؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

أعلمنا الله -سبحانه وتعالى- أنه خلق آدم خلقا مستقلا سويًا متكاملا، ثم نفخ فيه من روحه وأسكنه جنته وأباح له أن يأكل هو وزوجته منها كيف شاء إلا شجرة واحدة، فأغواه عدوه إبليس من الأكل من الشجرة، فأطاع عدوه وعصى ربه، فأهبطه الله من الجنة إلى الأرض.

وقبل الهبوط وعده بأن ينزل عليه وعلى ذريته هداه، كي يعرف الإنسان ربه ومنهجه وشريعته، ووعد المستجيبين بالهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة، وتوعد المستكبرين بالمعيشة الضنك في الدنيا والشقاء في الآخرة قال سبحانه: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾ خلاص نزلوا الأرض ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ يبقى عرفنا إنه سينزل هدى ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨، ٣٩].

في سورة طه قال: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ يبقى هو عرفهم إن هم لما ينزلوا إلى الأرض سينزل عليهم هدى الذي سيتبع ﴿فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]، والذي يعرض: له الضنك المعيشة الضيقة في الدنيا، قال: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٦].

هبط آدم إلى الأرض وأنشأ الله من ذريته أمة كانت على التوحيد الخالص كما قال الله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [البقرة: ٢١٣] كان الناس أمة واحدة أي على التوحيد والدين الحق فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ

مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، يبقى حصل اختلاف وبعث الرسل وأنزل الكتب لكي يحكم في هذا الاختلاف، وفي حديث أبي أمامة «أن رجلا سأل رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم مكلم» ليس نبي فقط هذا مكلم أي كلمه الله.

«قال: فكم بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون» وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام»، حتى لا تسمع كلام الغوغاء والناس يقولون كانوا ناس يعيشون في الغاب وكانوا لا يعرفون كذا وكذا، هؤلاء كانوا على التوحيد الخالص، القرن كم سنة؟ مائة سنة يعني ١٠ × ١٠٠ = ١٠٠٠، لو قلنا بحساباتنا ، طيب فيه قول القرن بمعنى الجيل، كما قال الله ﷻ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ القُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧] أهلكنا من السنوات أو من الأجيال من الأمم؟ وقال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٣١] يعني جيلا آخر، يبقى الجيل كان زمان مقداره مائة سنة أو كان أكثر من ذلك؟ وجيل سيدنا نوح كان كم؟ ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً ﴾ [العنكبوت: ١٤] يعني الجيل زمان بالآلاف، لو قلنا بالآلاف يبقى عشرة قرون = ١٠ × ١٠٠٠= ١٠٠٠٠.

أيا كان، كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على الإسلام، حدث اختلاف في آخر الزمان وحدث الشرك بعد أن كان الناس أمة واحدة على التوحيد، حصل زيغ وانحراف، وكان أول انحراف حدث الغلو في الصالحين، تعظيم الصالحين فرفعوهم إلى مرتبة الإلهية، رفعوهم إلى مرتبة المعبود، ففي صحيح البخاري من حديث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَداً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ [نوح: ٢٣] قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح خمسة: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، نسر هؤلاء الخمسة

رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا ماتوا، هؤلاء الناس كانوا قوما صالحين، فلما هلكوا ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، يعملوا نصب تذكاري هنا ود رسموا صورة له ونصب تذكاري، أول ما تفتروا في العبادة تذهبوا هناك تتذكروهم تنشطوا في العبادة ، تمام، المفروض هذا شيء جميل النشاط في العبادة، لكن أنا وأنت نعرف الناس الذين كانوا يعيشون رجال صالحون كنا نعرفهم، فكل ما يروهم ويتذكروا عبادتهم ومجالسهم وحلقات الذكر التي كانوا يعملوها معهم كانوا ينشطوا.

الإسلام والدين جاء لسد الذرائع في كل زمان ومكان، ما الذي يحصل بعد ذلك أنت لا تعرف، لكن الله يعلم، لذلك عرفك ماذا تفعل؟ أصل بعض الناس يقول هل ما زال أناس يعبدوا أصنام وهذه الصور، أنت لا تعرف، مثل الأقوام الصالحين الذين عملوا بالأنصاب وأوحى الشيطان أن ينصبوا في مجالس الناس يجلسون فيها أنصابا فيتذكرونهم بعبادتهم، وقال: وسموها بأسمائهم، هنا التذكار هذا الجندي المجهول لفلان الفلاني، وهنا لسواع، وهذا ليغوث ويعوق ونسر، ففعلوا فلم تعبد، لأن الناس تعرفهم يعرفوهم بشر مثلهم كانوا هنا يأكلوا ويشربوا فلم تعبد.

حتى إذا هلك أولئك أتاهم مصيبة، من أولئك؟ الذين يعيشون ولم يعبدوهم، هذه أول مشكلة، وانتسخ العلم، أي نسي ودرس، عبدت، جاء الأقوام الذي بعدهم بجيل والثاني والثالث إنما كانوا أولئك يعبدونهم فعبدوهم، فأرسل الله إليهم نوحا، هذا أول انحراف في تاريخ البشرية، فأرسل الله إليهم أول رسلهم نوحا، مصداقا لوعده الذي أعطاه لأبي البشر آدم بإرسال الرسل وإنزال الكتب هداية للبشرية والدليل على أن نوحا: كان أول رسول مبعوث حديث الشفاعة الثابت في الصحيح أن الناس يأتون بعد آدم نوحا فيقولون له فيما يقولون يا نوح إنك أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدا شكورا.

والذين استجابوا بدعوته دعوة التوحيد كانوا ضعفاء الناس وتنكر لهم السادة

والزعماء الذين يظنون في أنفسهم العقل والذكاء حيث استكبروا عن متابعة الحق، ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، والملأ المذكورون في أي آية هم السادة والكبراء ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧] الناس السفهاء الذين ليس لهم عقول أصلا، اتبعوك بدون تأمل ولا تعمق وتفكير ولا نظر وهذا الذي رموهم به هو ما يجب أن يمدحوا به فإن الحق إذا ظهر لا يحتاج إلى نظر بل يجب اتباعه، وتعجبوا أن يبعث الله رسولا بشرا ﴿ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا ﴾ وتطاول هؤلاء وطلبوا من نوح أن يطردوا الضعفاء والمساكين الذين تبعوه فرفض قال: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩].

وتطاول الزمان وكثرت المجادلة بينه وبين قومه فلبس فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فدعا ربه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧] فأهلكهم الله بالطوفان، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ [الفرقان: ٣٧] وأنجى الله نوحا والمؤمنين برحمة منه وخلت الأرض من الظالمين ولم يبقَ فيها إلا الموحدون، فلما انحرفوا عن التوحيد أرسل الله إليهم رسولا كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ [المؤمنون: ٣١، ٣٢] فدعاهم إلى توحيد الله ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وهكذا استمرت رحلة الله تعالى مع عنايته ببني آدم كلما ضلوا وزاغوا أنزل إليهم هداه يضيء لهم الظلمات فهذه قصة البشرية، صراع طويل بين الحق والباطل بين الرسل الذين يعرضون الهدي والحق وبين الضالين المعرضين عن التوحيد المتمسكون بما ألفوه واعتاد عليه الآباء والأجداد بأهواهم ومعتقداتهم الباطلة قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ

أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ٩ ، ١٠].

من يتأمل دعوة الرسل التي عرضها القرآن يتبين لنا هذه الحقائق:

الأولى: أن الله خلق الإنسان منذ البداية خلقا سويًا مكتملا لغاية محددة وهي عبادته وأنه خلقه مؤهلا لذلك.

الثاني: أن الله عرفه على نفسه منذ البداية ولم يتركه لفكره يتعرف على ربه بطريق التفكير والتأمل بل أرسل إليه رسوله وقد كان هؤلاء الرسل من الكثرة بحيث أنهم بلغوا البشرية كلها ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

الثالث: ليس الترقي في الاعتقاد عبر القرون هو السبب في الشرك، هو اتخاذ معبودات من دون الله كما يذهب لذلك العقاد في كتابه، ومن تبعهم الغربيين وغيرهم بل السبب انحراف أتباع الرسل عما جاءت به الرسل وتركهم ما جاءت به الرسل قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾ [طه: ١٢٤]، اتبعوا الظن وما تهوى الأنفس، فهؤلاء أو هذا، هذه الحقيقة هي السبب ليس كل عصر يترقى يترقى معنى هذا هو السبب في وجود الشرك، لا الشرك هو في عدم اتباع الرسل.

فيه قول جميل لعبد الله بن وهب في مسألة العبادة والتلذذ بالعبادة وفضل العبادة يقول عبد الله بن وهب: (كل ملذوذ إنما له لذة واحدة إلا العبادة: فإن لها ثلاث لذات: إذا كنت فيها، وإذا تذكرتها، وإذا أعطيت ثوابها).

ثلاث أشياء وأنت في العبادة تحس بلذة، وكل ما تتذكرها تحس بلذة، وإذا أعطيت ثواب العبادة تحس بلذة، للمؤمن فرحتان، وللصائم فرحتان، حينما يلقى ربه، إذا أعطيت ثوابها يبقى كل ملذوذ إنما له لذة واحدة إلا العبادة لها ثلاث لذات

الأولى وأنت متلبث بها إذا كنت فيها، الثانية إذا تذكرتها تتشوق إليها تحس بلذة، لذلك كانوا الصالحين يقولوا تعالوا نذكر ربنا ساعة، تتذكر الأيام الخالية إذا أعطيت ثوابها فهذا لا يكون إلا في العبادة فقط أما في المعصية لن تحس بلذة، بل كما قالت إحدى العابدات: (رب ذهبت اللذات وبقيت التبعات سيدي ومولاي أليس لك عقاب إلا النار، ثم خرت مغشيا عليها) فنسأل الله ﷻ أن يذيقنا لذة العبادة وحلاوة العبادة، وأن يثبتنا على طريقه وأن يتوفنا مسلمين ويلحقنا بالصالحين أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، جزاكم الله خيرا.

انتهى الدرس الثاني .